

الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري (191)

الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع

بأقبي أنواع الفصام (4)

من منطلق التقسيم التقليدي

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD010517.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/05/01
السنة العاشرة - العدد: 3530



مقدمة:

لا أعرف لمن أقدم اعتذارى حين أعلن أنني سوف أقصر تكلمة كتابي عن الفصام الذي هو محور كل ما أتوى تقديمه فيما يتعلق بالطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري، سوف أقصره على يوم واحد في الأسبوع مرحليا، حيث أنني - كما ذكرت في نشرة أمس - قررت أن أخصص أغلب وقتي لنشر ما تراكم عندي من كتب نشرها ورقيا مهما كانت العقبات، وأعتقد أنه مما يخفف شعوري بالخرج من هذا التنقل أن الأرجح هو أن من يتابعني - خاصة من الزملاء الأطباء وهم الأوفى - هم قلة قليلة، أمل أن يصبروا على نقلاتي هذه، وأن يجدوا بغيتهم في ما أثبتته في الموقع عامة، وليس بالضرورة في نشرات الإنسان والتطور اليومية.

4 الفصام الكاتاتوني (الفصام التصليبي)

يمثل هذا النوع إشكالية خاصة لا ننتبه إليها كثيرا، خاصة وهو يُعتبر - تقليديا - من أكثر الأنواع اندارا بالتدهور، في حين أن المتابعة المتأنية، والفحص الأعمق يدعوا إلى إعادة النظر في ذلك (أنظر بعد).

في هذا النوع تكون الأعراض الغالبة هي أعراض فقد الإرادة (راجع الأعراض ملف الإرادة) [نشرة 2015-3-16] (و) [نشرة 2015-3-22] (و) اضطراب السلوك الحركي،

وهذا النوع لا يمكن وضعه في مكانه المناسب تحديدا على سلم العملية الفصامية، إلا بعد تتبع مأل النوبة الحادة سواء كانت نوبة هياج شديد الخطورة، أم نوبة انسحاب وهمود (سبات) شديد السلبية، وهو بشكل عام يعتبر تقليديا نوعا متاخرا باعتبار الناتج من نوبة المرض فيه، إذ يترك غالبا ندوبا في الشخصية وهبوط مستواها التكيفي ورنينها العاطفي، وكذلك قد يكون المتبقي درجة من النكوص إذا ما سمحت الظروف المحيطة وغاب التأهيل المناسب، وقد يصاحب هذا النوع بوجه خاص اضطرابات جسمية مميزة مثل اللون الباهت للجلد وزرقة الأطراف ووفرة اللعاب وإنخفاض الدم وضحالة التنفس (إلا في حالات الهياج فإن الضغط قد يرتفع وقد يضطرب التنفس)

هذا، ويمكن تمييز نوعين منه على الوجه التالي:

في هذا النوع (الفصام الكاتاتوني) الفصام التصليبي تكون الأعراض الغالبة هي أعراض فقد الإرادة واضطراب السلوك الحركي

الفصام الكاتاتوني الهياجى يتصف هذا النوع بزيادة هائلة في النشاط الحركي لدرجة العنف والتعطيل، ويمكن تمييز الهياج هنا عنه في حالات الهياج في الموسم بأن سلوك المريض يبدو مندفعاً من داخله بغض النظر عما حوله، ولذلك فإن تصرفاته العنيفة لا يمكن التنبؤ بها، وتبدو بلا معنى وبلا أهداف

(أ) الفصام الكتاتوني الهياجى

يتصف هذا النوع بزيادة هائلة فى النشاط الحركى لدرجة العنف والتحطيم، ويمكن تمييز الهياج هنا عنه فى حالات الهياج فى الهوس بأن سلوك المريض يبدو مندفعاً من داخله بغض النظر عما حوله، ولذلك فإن تصرفاته العنيفة لا يمكن التنبؤ بها، وتبدو بلا معنى وبلا أهداف، وهى ليست مرتبطة عادة بأى مثيرات خارجية، كما أن العواطف المصاحبة تبدو باردة وقاسية، وكذلك فإن كلامه - إن تكلم - يبدو معاداً وغير مترابط بشكل شديد، فى حين أن الهياج فى حالة الهوس يكون أغلبه مستثار من الخارج، وكأنه يعنى به شيئاً محدداً، وإن كان غير واضح تماماً، كما قد يبدو فيه الرفض متبادلاً مع الاقتحام الهجومى، وليس العشوائى التحطيمى على طول الخط، وفى الهوس أيضاً قد يتحول مسار الهياج من مؤثر خارجى إلى آخر حسب ظروف البيئة كما ذكرنا.

(ب) الفصام الكتاتونى الإسحابى:

يتصف هذا النوع بالهبوط الحركى الذى قد يصل إلى الذهول، كما يصاحبه البُكم والخُلف والانتثائية الشمعية، وجميع الأعراض الدالة على انسحاب الإرادة، وخاصة إزاء المثيرات الخارجية. على أن هذا النوع من الفصام يثير مشاكل تشخيصية عديدة وذلك كما يلي:

- 1- أن حدوثه فى نوبات يشير إلى كونه نوعاً حاداً ، فى حين أن الفصام مرض مزمن بطبيعته ، وذلك فإن المعول الأساسى فى تشخيصه يكون فيما يتركه من آثار مزمنة فى الشخصية الأمر الذى يمكن استنتاجه من شذوذ النوبة الحادة وطبيعتها، ولكنه لا يتأكد إلا بما يترك من آثار سلبية بعد النوبة.
- 2- أنه قد يحدث دورياً (مما يقاربه من حالات الهوس والاكتئاب) ولكننا ينبغى أن ننتبه أنه إذا زالت النوبة دون أثر فى الشخصية تماماً فإن الكاتاتونيا الدورية الحميدة Benign Periodic Catatonia تصبح الأولى بالتشخيص بوجه خاص، حتى أن هذه الحالة يمكن أن تندرج تحت فئة أمراض الهوس والاكتئاب (فئات أخرى) .
- 3- أن مجرد وجود أعراض كاتاتونية فى الفصام (مثل الطاعة الآلية أو الانتثائية الشمعية) فى أى نوع آخر لا يكفى بالضرورة لتشخيص هذا النوع من الفصام.

ملاحظات على هذا النوع فى ثقافتنا الخاصة المعاصرة:

أولاً:

إن تواتر هذا النوع بهذه الصورة الدورية ذات القطبين هو نادر نسبياً ، فى حين أن وجود أعراض كاتاتونية أو ما يشبهها من أنواع أخرى من الفصام وبعض الذهانات غير النموذجية، هو أكثر تواتراً.

ثانياً:

إن المآل التدهورى لهذا النوع - إن صح التشخيص - هو أكثر ندرة أيضاً.

ثالثاً:

إن الخط بينه وبين حالات الانشقاق الهستيرى واردة، خاصة بالنسبة للطبيب المبتدئ، مع أن الفروق الإكلينيكية هى من أظهر الفروق حيث يمكن ملاحظة الجزء شبه الإرادى فى الانشقاق الهستيرى أو الغيبوبة الهستيرية بسهولة.

الفصام الكتاتونى الإسحابى:
يتصف هذا النوع بالهبوط الحركى الذى قد يصل إلى الذهول، كما يصاحبه البُكم والخُلف والانتثائية الشمعية، وجميع الأمراض الدالة على انسحاب الإرادة، وخاصة إزاء المثيرات الخارجية

الخط بينه (الفصام الكتاتونى الإسحابى) وبين حالات الانشقاق الهستيرى واردة، خاصة بالنسبة للطبيب المبتدئ، مع أن الفروق الإكلينيكية هى من أظهر الفروق حيث يمكن ملاحظة الجزء شبه الإرادى فى الانشقاق الهستيرى أو الغيبوبة الهستيرية بسهولة

إن محداً من هؤلاء المرضى قد يحتاج إلى محدد أكبر من جلسات تنظيم الإيقاع RRT خاصة لو كان المريض قد سبق له العلاج فى المحيط المناسب (علاج الوسط مثلاً) الذى أعده لذلك، كما قد يحتاج إلى جلسات متباعدة لمدة طويلة تصل إلى الشهور أو لعدة سنوات فى بعض الحالات النادرة

رابعاً:

إن الكثيرين قد يعزّون مظاهره أيضاً إلى عوامل غيبية (اللبس، والمس من تحت الأرض..إلخ) وهذه تفسيرات تقبلها ثقافتنا الشعبية خاصة.

ملاحظات إكلينيكية ذات دلالة :

1- فى حين يبدو المريض فى هذا النوع غائبا عن الوعي، لا بد من تذكر أنه قد يكون حاد الانتباه السلبي حتى أنه يستطيع أن يسجل كل ما يدور حوله، وقد يحتفظ به فى ذاكرته بشكل شديد الوضوح، وقد يحكيه بعد إفاقته من النوبة (وعلى ذلك لابد أن يراعى الأطباء والمرضى وغيرهم ما يقولونه عنه عشوائيا وهو غائب فى غيبوته، لأنه ليس غائبا حتى لو كان مغمض العينين طول الوقت).

2- إنه مهما طالّت مدة السبات - التى كثيرا ما تصل إلى حدة الغيبوبة - فإن عددا غير متوقع من هؤلاء المرضى يفيقون بلا أثر اندمالي كبير (أو صغير)، حتى يحتاج الأمر إلى إعادة النظر فى تشخيص الفصام أصلا

3- إن عددا من هؤلاء المرضى قد يحتاج إلى عدد أكبر من جلسات تنظيم الإيقاع RRT خاصة لو كان المريض قد سبق له العلاج فى المحيط المناسب (علاج الوسط مثلا) الذى أعده لذلك، كما قد يحتاج إلى جلسات متباعدة لمدة طويلة تصل إلى الشهور أو لعدة سنوات فى بعض الحالات النادرة.

4- إن الانتقال من السبات إلى الهياج (وبالعكس) فى أى وقت، يمكن أن يحدث بدون أى علامات منذرة.

5- إن من أهم واجبات الطبيب فى مرحلة السبات مهما طالّت، أن يقوم بالعناية بالوظائف الحيوية بكل الوسائل الطبية والتمريضية اللازمة

6- إننا سوف نعود إلى مناقشة وجه الشبه بين هذا النوع وبين البيات الشتوى الذى تمارسه أعداد مختلفة من الأحياء الأدنى، وعلاقة ذلك بالطب نفسى التطورى.

5- الفصام الوجدانى:

يتميز هذا النوع بوجود مزيج من أعراض الفصام وأعراض الهوس أو الاكتئاب الصريحة والمستمرة إلى درجة ما، بمعنى أنه لا يعنى مجرد تذبذب العواطف بين فترات الهوس والاكتئاب وإنما وجود هذه الأعراض كجزء لا يتجزأ من زملة الأعراض .

هذا، وعادة ما يوجد تاريخ عائلي إيجابى لأمراض الهوس والاكتئاب أو أى ظاهرة دورية، علما بأن وجود تاريخ أمراض الهوس والاكتئاب فى العائلة هو أكثر العوامل التى تدعو للنظر فى احتمال هذا التشخيص، مع التكهن بسير أفضل للمأل، حتى لو لم تكن أعراض الاضطرابات الوجدانية ظاهرة بشكل واضح.

ويمكن تقسيم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام حسب الأعراض الغالبة:

(أ) الفصام الوجدانى الاكتئابى، وفيه إضافة إلى أعراض الفصام أعراض اكتئابية محددة .

الفصام الوجدانى:

يتميز هذا النوع بوجود مزيج من أعراض الفصام وأعراض الهوس أو الاكتئاب الصريحة والمستمرة إلى درجة ما، بمعنى أنه لا يعنى مجرد تذبذب العواطف بين فترات الهوس والاكتئاب وإنما وجود هذه الأعراض كجزء لا يتجزأ من زملة الأعراض

أن هذا النوع هو ليس بالضرورة فصاما، كما أنه لا يمكن إدراجه ببساطة مع أمراض الهوس والاكتئاب، واقترحنا أن نعتبره من الاضطرابات المقترقة

لا يجوز الوصول إلى هذا التشخيص بمجرد جمع ما هو فصام مع ما هو اضطراب وجدانى فهى ليست مجرد عملية "قص ولصق" لأعراض متباينة من زملة مختلفة

(ب) **الفصام الوجداني الهوسي** وهذا أيضا فيه أعراض الهوس بالإضافة إلى أعراض الفصام .
(ج) **الفصام الوجداني المختلط** (وهو الذى يجمع بين بعض أعراض الهوس وبعض أعراض الاكتئاب).

هذا وقد دار خلاف موضوعى حول أحقية هذا النوع بالاندراج تحت لواء الفصام أصلا، وذلك نظرا لأن دورية حدوث النوبات تكاد تتقارب مع دورية أمراض الهوس والاكتئاب، كما ان المآل كثيرا ما يكون أفضل بكثير من أغلب أنواع الفصام الأخرى.

وقد دعيت إلى كتابة رأى فى هذا الخلاف بشكل رسمى من زملاء أفاضل.

وقد كتبت افتتاحية بالإنجليزية فى المجلة المصرية للطب النفسى أبين فيها رأى من أن هذا النوع هو ليس بالضرورة فصاما، كما أنه لا يمكن إدراجه ببساطة مع أمراض الهوس والاكتئاب، واقترحت أن نعتبره من الاضطرابات المفترقية، وعنوان هذه الافتتاحية هو:

Schizo affective Disorder: An Exclusive Waste Basket or a Specific Cross-road Devolutionary Phase (A psychopathological Stand Point)

الفصام الوجداني هل هو سلة مهملات للاستبعاد أم أنه طور مفترقى متميز

(وجهة نظر نفسمرضية⁽¹⁾)

وقد أوضحت فى هذه الافتتاحية كيف أنه لا يجوز الوصول إلى هذا التشخيص بمجرد جمع ما هو فصام مع ما هو اضطراب وجداني فهى ليست مجرد عملية "قص ولصق" لأعراض متباينة من زميلات مختلفة، وأن هذا الاضطراب بالذات لا يجوز أن يطلق على مريض اكتتابه غير نموذجى مما يسمى أحيانا اكتتاب لزج نعاب غير نموذجى *Atypical Nagging Sticky Depression* ، ولا على فصامى زائط نتيجة للنكوص فبدت عليه أعراض فرح شبه هوسى، ولا لمجرد تجاوز أعراض الفصام مع أعراض الهوس أو الاكتئاب، وإنما وبلغة إيقاعية تطويرية هكذا جاء النص بالإنجليزية :
("Evolutionary-rhythmic Language" ينبغي اعتباره بمثابة مظهر ذهاني لإجهاض أزمة مفترقية فشلت أن تواصل إلى تفسخ صريح، وفى نفس الوقت لم تجد فرصة الاستمرار حتى فى أحد تجليات أمراض الهوس والاكتئاب كدفاع ضد هذا التفسخ.

وكل هذا سوف نعود إليه: أولا مع تقسيمات الفصام من وجهة نظر الطب النفسى الإيقاعى، وثانيا: مع عودتنا إلى أمراض الهوس والاكتئاب.

ملاحظات إكلينيكية ذات دلالة :

وقد تطورت بى ملاحظة ضرورة استقلال هذا النوع عن الفصام أننى قمت بوصف ذهان خاص ضمن الذهانات الست التى اقترحت إضافتها مستقلة (2) وهو ما أسميته "الذهان الدورى التفسخى" *Periodical Disorganization Psychosis* بينت فيها مبررات استقلال هذا النوع من مصدرين وأنى استلهمتها، الأول من التقسيم الفرنسى فى وصفه لما يسمى "الفورة الضلالية" *Boffee Delirante*، ثم من وصفى لما قدمت عن الفصام الوجداني المفترقى (أنظر قبلا)،

وأما ما دعانى إلى فصل هذا الذهان مستقلا فهو:

هذا الاضطراب بالذات لا يجوز أن يطلق على مريض اكتتابه غير نموذجى مما يسمى أحيانا اكتتاب لزج نعاب غير نموذجى ، ولا على فصامى زائط نتيجة للنكوص فبدت عليه أعراض فرح شبه هوسى، ولا لمجرد تجاوز أعراض الفصام مع أعراض الهوس أو الاكتئاب

ينبغي اعتباره بمثابة مظهر ذهاني لإجهاض أزمة مفترقية فشلت أن تواصل إلى تفسخ صريح، وفى نفس الوقت لم تجد فرصة الاستمرار حتى فى أحد تجليات أمراض الهوس والاكتئاب كدفاع ضد هذا التفسخ

أولاً: أنه أفضل مآلاً ليس فقط من الفصام بل أيضاً من كل من الهوس، ومن بعض أنواع الاكتئاب الدورى اللزج.

وثانياً: أنه أقرب ما يكون إلى التمتع المنتظمة التي تحدث لنا جميعاً أثناء النوم فيما يسمى نوم الريم (REM Sleep نوم حركة العين السريعة)، وبالتالي يكون أقرب إلى ما هو طبيعى، وأبعد عن التفسخ فى الأحوال العادية، وبالتالي بررت كيف أن هذا النوع بالذات هو مفترقى جداً، وبالتالي فهو أولى بالرصد والإحاطة لاحتمال النجاح فى إعادة التشكيل.

هذا، وبعد تطور فكرى الإيقاعى والتطور إلى وضع فروض "حالات الوجود المتبادلة" [نشرة 2016/3/15] (و) [نشرة 2016/6/26] (و) [نشرة 2016/7/3] (و) اعتبار الحالة المفترقية أساس فسيولوجى ونمائى قبل أن تكون مفترق لمسار الأمراض تدعم فرضى لفصل هذا النوع عن الفصام بهذه الصورة.

وبعد

أكتفى بهذا القدر من عرض أنواع الفصام من منظور تقليدى، وإن كنت لم أستطع أن أمنع نفسى من إضافة البعد الإيقاعى التطورى فى كل نوع تقريباً، وأرجو أن أبدأ يوم الاثنين القادم، (بعد قبول الاعتذار الذى جاء فى المقدمة) فى عرض أنواع الفصام من منطلق الطبفسى الإيقاعى التطورى.

[1] – Y.T.Rakhawy "Egypt. J. Psychiat" (1982) 5: 192-194

[2]- Y.T.Rakhawy "Structural-Teleological Approach to Nosology & Diagnosis" 1992. www.rakhawy.net

*** **

المعجم " النفسانى " فى العلوم والطب

معجم المصطلحات الأساسية فى علوم وطب النفس

إعداد نخبة من أبرز الأطباء وعلماء النفس العرب

المعجم " النفسانى " على المتجر الإلكترونى

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=46&controller=category&id_lang=3

دليل المعجم " النفسانى " (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=252&controller=product&id_lang=3

المعجم " النفسانى " على شبكة علوم النفس العربية

مصطلحات الحرف الأول من " الموسَّح " العربى (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Ar.pdf>

مصطلحات الحرف الأول من " الموسَّح " الإنجليزى (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Eng.pdf>

مصطلحات الحرف الأول من " الموسَّح " الفرنسى (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Fr.pdf>

المعجم " النفسانى " على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Dictionaries-Encyclopedias-204277553287741/>

قد تطورت به ملاحظة
ضرورة استقلال هذا النوع
عن الفصام أننى قمت بوصفه
ذهان خاص ضمن الذهانات
السهة التى اقترحت إضافتها
مستقلة (2) وهو ما أسميته
"الذهان الدورى التفسخى"